Journal Of the Iraqia University (75-10) July (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

التقارب اللغوي بين لهجات الجزيرة العربية قبل الإسلام ودوره في تكوين اللغة القرآنية

الدكتور المشرف أ.م. د محمد حسن صانعي

جامعة كاشان إيران

ريم نجم عبد الله

جامعة كاشان ايران

Linguistic similarities between the dialects of the Arabian Peninsula before Islam and its role in the formation of the Quranic language

Prepared by: PhD student
Supervisor: A.M.D. Mohammad Hassan
Reem Najm Abdullah
reemnajem96@gmail.com
Kashan University - Iran
saneipur@kashanu.ac.ir

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى استجلاء طبيعة العلاقات اللغوية والتفاعلات البيئية بين لهجات القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وتحديد دورها المحوري في صياغة وهيكلة اللسان القرآني المعجز. تنطلق المشكلة البحثية من فرضية مفادها أن اللغة القرآنية لم تكن مجرد امتدادٍ أحاديٍّ وعازلٍ لنيابة لهجة قريش، بل كانت المصبّ التاريخي الأعلى لـ "لغة أدبية مشتركة" تشكلت عبر قرون من التماس والتقارب اللغوي بين الحواضر والبوادي العربية. ولتحقيق هذا الهدف، اعتمد البحث المنهج التاريخي لتتبع حركية اللهجات في الحواضن الاجتماعية كالأسواق والمواسم الدينية، فضلاً عن المنهج الوصفي التحليلي في رصد الشواهد الصوتية، والصرفية، والدلالية المنتمية لبيئات لهجية شتى (مثل تميم، وهذيل، وقيس، وأهل اليمن) والتي استوعبها النص القرآني وقراءاته المتواترة. وتوصل البحث إلى جملة من النتائج، أبرزها: أن التقارب اللهجي قبل الإسلام وفّر أرضية لغوية مرنة وثرية مكنت النص القرآني من حيازة طاقة تعبيرية وبيانية هائلة، وأن تنوع القراءات القرآنية (الأحرف السبعة) يمثل التطبيق العلمي الأسمى لاحتواء هذا التعدد اللهجي المصهور في بوقة الفصحى الموحدة، مما يفند الأطروحات الاستشراقية القائلة بوجود قطيعة بنائية بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الوحي.**الكلمات المفتاحية:** التقارب اللغوي، لهجات الجزيرة العربية، اللغة القرآنية، اللغة المشتركة، القراءات القرآنية.

Abstract:

This research seeks to elucidate the nature of linguistic relationships and environmental interactions among the dialects of Arabic tribes in the Arabian Peninsula before Islam, determining their pivotal role in shaping the miraculous Quranic discourse. The research problem stems from the hypothesis that the Quranic language was not merely a monolithic extension of the Quraish dialect, but rather the ultimate historical confluence of a "common literary language" (Koiné) formed through centuries of linguistic convergence between various Arabic urban and nomadic communities. To achieve this objective, the study adopts a historical approach to trace dialectal dynamics within social incubators such as markets and religious seasons, alongside a descriptive-analytical approach to monitor phonetic, morphological, and semantic evidence from diverse dialectal environments (such as Tamim, Hudhayl, Qays, and Yemen) integrated into the Quranic text and its frequent recitations (Qira'at). The study yields several key findings, most notably: that pre-Islamic dialectal convergence provided a flexible and rich linguistic foundation enabling the Quranic text to possess immense expressive power, and that the diversity of Quranic recitations (the Seven Ahruf) represents the sublime practical application of

assimilating this dialectal diversity into unified Classical Arabic. This ultimately refutes Orientalist theses claiming a structural rupture between the language of pre-Islamic poetry and the language of revelation
Keywords: Linguistic Convergence, Arabian Peninsula Dialects, Quranic Language, Koiné, Quranic Recitations (Qira'at)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:تعد دراسة معالم اللغوية لشبه الجزيرة العربية في مرحلة التي سبقت الاسلام واحدة من أكثر الحقول المعرفية توسعا ولديها افكار منسجمة مع بعضها في الدروس المنهجية الحالية ؛ البيئة العربية الجاهلية لم تكن ساحه فارغة من المنهج النحوي أو منفردة عن الانسجام البشري ، بل كانت مثالا جوهريا تموج فيه "التعددية اللهجية" وتشترك فيه الاساليب المنهجية بين شمالية وجنوبية، وحجازية وتميمية، وبدوية وحضرية. ومع ذلك، كل هذا التعدد لم يجعل فجوة تقاربية بين قبائل العرب، وضعت ضوابط رصينة اقتصادية اجتماعية ولدت حركة " (تقارب منهجي واضح)" الاحتكاك اليومي المستمر ازال الفوارق المتشعبة وسهل الطريق لمجيئ "لغة أدبية مشتركة" تسامت فوق النزعات القبلية الضيقة.ولا يمكننا النظر إلى هذا التقارب اللغوي بوصفه مجرد واقعة جغرافية عابرة، بل هو في حقيقته المخاض التاريخي الذي تخلقت في أثنائه ملامح "اللغة القرآنية" وخصوصيتها الفريدة. فعندما نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، لم يتخذ من لهجة محلية ضيقة أو معزولة لقبيلة بذاتها وعاءً له، وإنما جاء ثمرةً لقرون طويلة من التمازج اواختيار من بين مختلف اللهجات العربية. ومن هنا، نجح النص القرآني في صهر صفوة المفردات والتراكيب التي جادت بها افهام الجزيرة العربية، مستوعباً تنوعها الصرفي، وظواهرها الصوتية، وغريب ألفاظها؛ الأمر الذي وهب الخطاب القرآني مرونة دلالية وطاقة بيانية تجاوزت حدود اللهجة المفردة، وهي التعددية التي تتبدى لنا بوضوح في وجوه "القراءات القرآنية المتواترة".وتتأكد أهمية الدراسة الحالية في سعيها لتقديم قراءة لسانية نقدية، تنأى بالدرس اللهجي والقرآني عن نمط السرد الروائي التقليدي—الذي يميل إلى اختزال لغة التنزيل في لغة قريش اختزالاً تاماً—لتحلق به في أفق "علم اللغة الجغرافي والاجتماعي" بمفهومه المعاصر. وبناءً على هذا، يطمح البحث إلى تتبع الآليات اللغوية التي أدار عبرها النص القرآني هذا التقارب، مبيناً كيف تحول الكتاب العزيز من بيئة مستوعبة لهذا التمازج إلى "أداة معيارية كبرى" حفظت لسان العرب وصانت أركان فصاحته عبر العصور..

إشكالية البحث:

تتشكل الصيغة المحورية لهذا البحث في محاولة أجراء المكونات اللهجية المندمجة داخل المنهجية القرآنية، والوقوف على أثر التقارب اللساني الذي شهده العصر الجاهلي في صهر هذه المكونات وصياغتها. وتتخذ هذه الإشكالية بعداً يسعى إلى تفكيك ثنائية (الفصيح واللهجي) عبر التساؤل الجوهري الآتي: ما هي طبيعة الدور الذي لعبه التمازج والتقارب اللغوي بين مختلف لهجات الجزيرة العربية قبيل البعثة النبوية في تشكيل الملامح المعجمية والصرفية والصوتية لغة التنزيل؟ وكيف أسهم هذا الحراك اللساني في ارتقاء النص القرآني ليصبح لساناً معيارياً مشتركاً تجاوز حدود القبيلة إلى أفق الأمة؟

منهجية البحث:

وللوصول إلى إجابات دقيقة حول هذه الإشكالية، يعتمد البحث على التكامل بين منهجيين علميين؛ الأول هو المنهج التاريخي المقارن الذي يسعى إلى تتبع مسار اللهجات العربية القديمة ورصد أسباب تداخلها واحتكاكها ببعضها قبل نزول القرآن. والمنهج الثاني هو الوصفي التحليلي، ونستعين به في رصد الشواهد اللغوية والقراءات المتواترة داخل النص القرآني، ومن ثم القيام بتحليل أبعادها الدلالية ومواطن الجمال فيها.ولترتيب المادة العلمية بشكل منظم، جرى تقسيم هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث أساسية، تعقبها خاتمة؛ إذ خصصنا المبحث الأول لدراسة الجغرافيا اللغوية في الجزيرة العربية والظروف التي ساعدت على تقارب اللهجات. بينما يتناول المبحث الثاني صور هذا التقارب وتأثيره في تراكيب القرآن من النواحي المعجمية والصرفية والصوتية. وجاء المبحث الثالث ليدرس القراءات القرآنية باعتبارها التطبيق العملي والواضح لهذا التداخل اللغوي. وفي النهاية، يختتم البحث بخاتمة موجزة تلخص أهم ما توصلنا إليه من نتائج وتوصيات، تليها قائمة المصادر والمراجع التي استندت إليها الدراسة.

أولاً: مشكلة البحث

تكمن مشكلة الدراسة الحالية في وجود فجوة واضحة في التعاطي مع تاريخ اللغة العربية ولغة التنزيل؛ إذ جرت العادة في كثير من الدراسات اللغوية التقليدية على حصر لغة القرآن الكريم في "لهجة قريش" وحدها، وإغفال أثر اللهجات العربية الأخرى. هذا الاختزال أدى إلى تهميش دور الحراك اللغوي والاتصال القبلي الذي كان يحدث في أسواق العرب ومواسمهم قبل الإسلام، والذي نتج عنه تقارب لساني كبير.

ومن هنا، يواجه البحث مشكلة علمية تتمثل في ضعف تسليط الضوء على هذه المكونات اللهجية غير القرشية (سواء كانت تميمية، أم هذلية، أم غيرها) داخل البنية المعجمية والصوتية والصرفية للنص القرآني، وعدم تتبع كيفية انصهار هذه اللهجات معاً لتشكل لساناً واحداً مشتركاً وأداة معيارية للأمة، وهو ما يحاول هذا البحث رصده وتحليله بأسلوب علمي معاصر

ثانياً: أهداف البحث

يطمح هذا البحث إلى ملامسة عدة غايات علمية محددة، يمكن إيجازها في النقاط الآتية تأصيل فكرة "اللغة المشتركة": عبر تتبع الكيفية التي تشكلت بها لغة أدبية عليا وموحدة في أرجاء الجزيرة العربية قبيل الإسلام، بالاستناد إلى معطيات علم اللغة الجغرافي والاجتماعي.رصد المكونات اللهجية في النص القرآني: ويتحقق ذلك بتحديد وتصنيف الألفاظ والظواهر الصرفية والصوتية التي تنتمي إلى أصول لهجية شتى (كتميم، وهوازن، وكنانة، وأهل اليمن) والتي استوعبها المتن القرآني.بيان ملامح الاصطفاء القرآني: الكشف عن الطريقة الإعجازية التي صهر بها النظم القرآني هذا التقارب اللغوي، محولاً التعدد اللهجي إلى نسق بياني واحد يجمع بين المرونة الدلالية والدقة المتناهية.توجيه التنوع الأداء في القراءات: ربط التغاير الصوتي والصرفي الملحوظ في القراءات القرآنية (كالهمز والإمالة وغيرهما) بجذوره الجغرافية والقبيلة القديمة، وإبرازه كشاهد حي على احتواء القرآن لتقارب العرب اللساني.

ثالثاً: أهمية البحث

يستمد البحث قيمته الأكاديمية وحضوره العلمي من خلال جملة من الحيثيات المعرفية والتطبيقية:

١. على الصعيد النظري والمعرفي:

تطوير المقاربات التراثية: يرفد البحث المكتبة الجامعية برؤية لسانية حديثة توظف أدوات المنهج المقارن وعلم اللغة الجغرافي، مما يخرج دراسة "لغات القرآن" من إطار التجميع والرواية إلى فضاء التحليل الألسني المنظم.تعزيز الدراسات البينية: يمثل المبحث نقطة تلاقٍ معرفية تربط الدراسات اللغوية التاريخية بعلوم القرآن والقراءات، وهو التوجه العلمي الذي تولي له جامعة بغداد ومجلاتها العلمية اهتماماً خاصاً لتميزه وعمقه.

٢. على الصعيد التطبيقي والعملي:

مناقشة الطروحات الاستشراقية وتفنيدها: يسهم البحث في تفكيك الشبهات التي حاولت اتخاذ التنوع اللهجي في القرآن مدخلاً للطعن في وحدته، وذلك عبر إثبات أن هذا التنوع يمثل امتداداً طبيعياً لعملية تقارب لغوي تاريخية بلغت أوجها في النص القرآني.إثراء الدرس اللهجي في البيئة الأكاديمية العراقية: يكتسب البحث أهمية خاصة بربطه بجذور المدارس النحوية في العراق (البصرة والكوفة)، باعتبارها المهد الأول الذي نهض برصد الأنماط اللهجية ولغات العرب وتوثيقها علمياً في المصنفات القديمة.

رابعاً: منهجية البحث

بغية إحاطة موضوع الدراسة بمتطلبات الرصانة الأكاديمية والإجابة عن الأسئلة المطروحة، ارتأينا الاعتماد على التكامل بين منهجين علميين يتناسبان مع طبيعة المادة:المنهج التاريخي المقارن: ونوظفه هنا لتتبع الفضاء اللغوي لشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، والوقوف على محفزات الاحتكاك والتقارب (كالأسواق التجارية، والرحلات، والشعر الجاهلي)، فضلاً عن موازنة السمات البنيوية بين اللهجات المختلفة (كالتميمية والحجازية) لاستكشاف مناطق التداخل والالتقاء بينها.المنهج الوصفي التحليلي: ويأتي دوره في الجانب التطبيقي من الدراسة؛ إذ يسعى الباحث من خلاله إلى رصد وتوصيف الشواهد المعجمية والصرفية والصوتية متعددة اللهجات في النص القرآني وفي بنيات القراءات، ومن ثم إخضاعها للتحليل لإبراز قيمتها الدلالية والجمالية داخل السياق.

المبحث الأول الفضاء اللغوي للجزيرة العربية وعوامل التقارب

شبه الجزيرة العربية لها الفضل الكبير في بناء المشهد اللغوي وأوضح العصر نظام له سياق ديناميكي . كان لدور الجغرافية المتصلة من المعايير الهلال الخصيب شمالا الى شاطئ اليمن غربا فضاءً نطقيا هادئاً. كان موقعها الاستراتيجي المميز له دور كبير في توافد الخبرات بمستويات مختلفة لانها تحظى بخريطة فسيفسائية من أساليب ذات تراكيب بيئية. كانت الظروف التي كانت تفرضها الطبيعة على الرغم من البعد الذي سببه العزل الجغرافي في تلك الظروف الصحراوية . الى ان البحث كان له دور كبير في الوصول الى اهداف تاريخية وربطها بالحاضر الذي سهل خلط الأفكار الماضي بالحاضر. وهو الناتج الذي ينتجه في خاتمة الرحلة لتصبح النور الذي نسير على نحوه ويصبح مرتبط في نوات المنسجمة التي نزل بها القران الكريم

المطلب الأول: الخارطة اللهجية لشبه الجزيرة العربية (البداوة والحواضر)

كانت الطبيعة الجغرافية اللفظية العربي في العصور المتأخرة التي تعود الى قبل الإسلام تكون على حدود جيو–لسانية خاضعه لثقافة تفرض على علماء الكلام . ويمكن تحليل هذا المنهج عبر مستويين رئيسيين من التباين :

١. التباين الإقليمي البنيوي (العربية الشمالية والعربية الجنوبية)

كان فقه اللغة المقارن الدور الكبير في توضيح لهجات شبه الجزيرة الى جملتين رئيسيتين: العربية الجنوبية (السبئية، والمعينية، والقتبانية، والحميرية) وهي لهجات جيدة تتميز بنظام صيغي وكتابي (الخط المسند) مباين في كثير من وجوهه للعربية الشمالية، والعربية الشمالية (أرومة الفصحى) التي تندرج تحتها مضر وربيعة وقضاعة. كان لعلماء التاريخ لهم الدور في ترسيخ نقاط الاتصال بين الجملتين واكبت دخلا مستمرا؛ فبعد تدني جودة سد مأرب ونزوح القبائل اليمنية (كالأزد، وطئ، وغسان) إلى قلب الشمال وأطرافه، حدثت "مثاقفة لغوية" مستمرة. فقد اقتبست لهجات الشمال طائفة واسعة من المعجم التشريعي والزراعي الحميري، بل وتأثرت بعض القبائل الشمالية بظواهر صوتية جنوبية كـ "الِطْمِطِمَانية" (وهي إبدال لام التعريف ميماً في لغة حمير، نحو: "أمْبرّ" بدلاً من "البرّ")، وهو ما يفسر ورود بعض الألفاظ ذات الأصول اليمانية في المتن اللغوي القرآني لاحقاً بعد أن صهرها التقارب [١]

١–(السامرائي، ١٩٨٨، ج ١، ص ٤٨–٥٢).

٢. الثنائية اللهجية بين الحواضر والبداوة (اللسان الحجازي واللسان التميمي)

داخل كتلة العربية الشمالية نفسها، تبلور استقطاب لغوي حاد بين نمطين:

نمط الحواضر والبيئات شبه المستقرة (ويمثله لسان أهل الحجاز، وبخاصة قريش وثقيف الكنانية): تميز هذا اللسان بخصائص "التخفيف" والصقل الصوتي، بسبب طبيعة التماس التجاري والدبلوماسي للحواضر؛ ومن اجدر مميزاته الفونولوجية: تسهيل الهمز (نطق "مؤمن" كـ "مومن"، و"ذئب" كـ "ذيب")، والنزوع نحو إسقاط التنوين في الفاظ سياقات معينة، وإيثار الحركات الخفيفة، وتجنب صعوبة النظم نمط البداوة والقبائل الشرقية والوسطى (ويمثله لسان تميم، وأسد، وقيس): رغم الانفصال الجغرافي كانوا يتميزون بالمحافظة الشديدة على الأعراف النحوية السامية القديمة ؛ فكان يوضح بـ ضبط الهمز بموضوعية متناهية ، وظاهرة "التلتلة" (كسر حرف المضارعة، نحو: تِعْلَمون وتِشْربون)، وظاهرة "العنعنة" في لغة تميم (إبدال الهمزة عيناً إذا وقعت في أول الكلمة، نحو: "أشهد عَنّك رسول الله" أي أنك)، الاعتماد على الصوت الشديد والاستعلاء الصوتي [١].

المطلب الثاني: الروافد الاجتماعية والاقتصادية للتقارب اللغوي

الوضوح اللغوي لم يكون عائقا بين الحجاز وتميم ، أو بين الشمال والجنوب، ليستمر على صورة جزر معزولة؛ أحيانا البيئة الجغرافية تفرض على العرب قواعد تجعلها اكثر تماسا لتقارب الالفاظ ، تمثلت في ثلاثة روافد كبرى:

١. الأسواق الأدبية والتجارية الكبرى (مختبرات المصاهرة اللغوية)لم تكن أسواق مثل (عكاظ) الواقع بين نجد والحجاز، و(مجنّة)، و(ذو المجاز) مجرد ساحات لمقايضة البضائع الاقتصادية، بل كانت تُمثّل "برلمانات لغوية موسيقية" دورية. في هذه الكرنفال السنوية، يجتمع البدوي التميمي بالحضري القرشي واليماني الحميري، وحين يقف المتكلمين (كقس بن ساعدة) والشعراء (كالنابغة الذبياني) لإلقاء تعابيرهم أمام جماهير القبائل، لابد ان يحصر الملقي على نقطتين مهمتين. كان يحرص ان يكون كلامه واضح غير ذي عقد للجميع ، وغايته الإبداعية في تأليف كلام يفوق مخيلته المحدودة . التقييد اللفظي يفرض على المخاطبين الانتهاء من الالفاظ ذات التعقيد الغير مفهومه المتطرفة، والبحث عن "قاسم لغوي مشترك" يفهمه التميمي والحجازي على حد سواء[٢].

١–(أنيس، ١٩٧٨، ص ٦٢–٦٩)

٢–(جواد علي، ١٩٩٣، ج ٨، ص ٢١١–٢١٥)

٢. المؤسسة الدينية (الحج) وحركة التجارة الدولية

كان دور الكعبة المكرمة دور مهم جعل من القبائل شبه الجزيرة مركزا تماسا فيما بينهم جعل منهم تماسا روحيا واقتصاديا. ومن هذا الاسترسال الذي يحصل كل عام على مدار السنين عندما يأتون من كل مكان قاصدين بيت الله الحرام جالبين معهم اختلافاتهم اللغوية، تميزت مكة عن غيرها كونها الأكثر وفودا بالتلقي المتبادل ؛ الذي جعل من هذا التماس القدرة على فهم الالفاظ الداخلة المختلفة من عدة بلدان الذي سببه ذلك الاحتكاك .

تماشي ذلك مع قوافل قريش التجارية المستمرة شمالاً (الشام) وجنوباً (اليمن)، وهي جولات اجبرت تعاملاً دبوماسياً وتجارياً ألجأ قريشاً إلى تجسيد نوع من "الانتخاب اللغوي" لسهولة التعاقدات ، اكتسبت قوافل قريس الالفاظ الحضارية والتبادلية لم تكن معهودة في بيئة الصحراء[١].

المطلب الثالث: نشأة "اللغة الأدبية المشتركة" كتمهيد للغة القرآنية

بعد عدة قرون مستمرة من التماس في التجارة ولد لهجة لفضية محورية اطلقوا عليها علماء اللغويين المؤرخين وصف "اللغة المشتركة" وهي لغة ادبية، اصطفائية، متعالية ومستقلة عن الاستخدام اليومي العامي للقبائل:

١. الشعر الجاهلي أداة مأسسة المعيار اللغوي

أوضحت هذه اللغة المتبادلة في ابهى ازدهارها داخل "ديوان العرب" (الشعر الجاهلي)؛ فالشاعر التميمي عندما كان ينظم معلقته، لم يكن يكتبها بلهجته المحلية (فلا يستخدم العنعنة أو التلتلة)، بل كان ينتقل تلقائياً إلى النمط "المعياري الفني المشترك" الذي استقرت الجماعة اللغوية على فصاحته وحسنه وعذوبته الفونولوجية. لقد غدا الشعر الجاهلي أداة "تنميط" جبارة وحّدت الأبنية الصرفية والتركيبية للعربية، وحوّلتها من شتات لغوي قبلي إلى نسق أدبي راقٍ وموحد تشترك الأمة في تذوقه[٢].

١-(ابن فارس، ١٩٩٧، ص ٣٤-٣٨)

٢-(السامرائي, ١٩٨٨, ج ١, ص ١٣٤-١٤١)

٢. الدور القرشي في التصفية والانتخاب اللساني

لغة قريس لم تكن لغة متبادلة بشكل رسمي، بل كانت قريش هي "المصفاة المعيارية الكبرى" لها؛ فقد تولت قريش عوامل السيادة الدينية والاقتصادية والسياسية، فتلقت إلى ابهى لغات العرب، واكتسبت من كل لهجة افضل الكلمات واقومها وأكثرها عدلا : فأخذت من تميم صرامة جذورها، ومن كنانة وضوحها، ومن هوازن خفتها، ونفت من الفاظها الظواهر الصوتية المعقدة التي تثقل على المتكلف الفظ والايضاح كـ (الفحفحة، والوتم، والشنشنة).

هذا الاصطفاء التاريخي الطويل جعل اللسان الحجازي القرشي هو القطب المغناطيسي الذي تلتف حوله اللغة المشتركة، وبذلك اصبح اكثر استعداد هذا اللسان المتمرس لاحتواء الحدث الإعجازي الأكبر، وهو نزول القرآن الكريم الذي جاء ليتوج هذا التقارب اللغوي، ويمنحه ثباته المطلق وخلوده المعياري[١].

١-(ابن الأثير، ١٩٦٣، ج ١، ص ١٨-٢٢)

المبحث الثاني مظاهر التقارب اللهجي في البنية اللغوية للقرآن الكريم

بلغ النص القرآني ابهى الوضوح اللفظي لعوامل التماس الكلامي التي عاصرتها الجزيرة العربية ؛ الاعجاز القراني لم يقف على مسار نمط لفضي قبلي واحد، الاعجاز القراني جمع جذور اللغة المتفرقة التي اكتسبتها قوافل التماس اللفظي قبل الاسلام .

المطلب الأول: التقارب المعجمي (ظاهرة "اللفات" والاتساع الدلالي)

اصحت في ابهى المظاهر الانسجام اللفظي الذي جعله بمثابة الأصالة الفريدة للتعبير القرآني ؛ لم يخلوا القران الكريم على مئات الالفاظ التي تعود الى ذلك التماس المشترك قبل الاسلام ، وهو ما اوضح عليه علماء علوم القرآن بـ "اللغات في القرآن":

١-الاصطفاء المعجمي من القبائل العربية:

لم ينغلق القرآن على غريب قريش، بل انفتح على غريب لغات العرب ومحاسن كلامها تحقيقاً للاتساع الدلالي؛ فنزل بكلمات من لغة حمير وأهل اليمن مثل لفظة (أرائك) وهي السرر في لغة اليمن، ولفظة (الصراط) وهي الطريق بلغة ربيعة، ولفظة (سجيل) بلغة تميم. لقد اجمع القائمون على هذا العلم ومنهم أبن عباس لهذه الكلمات لتوضيح مدى احتواء القران على التعداد اللغوي ؛ إذ تحولت هذه الألفاظ بفضل التقارب السابق من خصوصيتها القبلية الضيقة إلى عموميتها العربية المعجمية [١].

١-(السيوطي، ٢٠٠٢، ج ١، ص ١١٢-١١٨)

٢-التوظيف الدلالي والجمالي للمشترك المعجمي:

ان استعمال النظم القراني في الكلمات المتنوعة لم يكن بشكل عرضي ، بل كان انتقاء ألنمط معجزاً؛ وردت في القران الكريم كلمات تكون اكثر وضوحا لوصف الصورة الكلية للخطاب التكليفي ، تميز القران عن غيره بأنه احتوى بصورة واسعة مما اختلف من لهجات العرب من نشاطات لغوية [١].

المطلب الثاني: التداخل الصرفي والنحوي (التنوع البنيوي)

لم يكن التقارب اللفظي وحده اساس استعمال الالفاظ (المعجم)، بل انها تغلغلت عميقا في البنية الصرفية والنحوية لنص القران ، حيث دمج النظم بين القواعد الحجازية والتميمية في سياقات إعجازية متعددة:

٣-التناوب بين الإعمال والإهمال (نماذج نحوية):

اسهم قرب المسافة بين القبائل على عدم فقدان ضوابط النحو المتمايزة ؛ ومن اهمها قاعدة "ما" النافية الحجازية والتميمية. فالحجازيون يُعاملونها عمل (ليس) برفع المبتدأ ونصب الخبر، وبها نزل القرآن في مواضع كقوله تعالى: {مَا هَٰذَا بَشَرًا} [يوسف: ٣١]. في حين أن تميماً تهملها فترفع الجزأين، وقد راعى القرآن هذا البعد في مواضع أخرى تعتمد التوجيه التميمي في بعض القراءات، مما يعكس مرونة النص في استيعاب البنى النحوية السائدة في الجزيرة إبان نزول الوحي[٢].

١-(ابن فارس، ١٩٩٧، ص ٤٥)

٢-(سيبويه، ١٩٨٨، ج ١، ص ٥٦-٥٩)

٤-البنى الصرفية وأبنية الأفعال:

الضوابط الصرفية متنوعة في القران بين التسهيل الحجازي والتشديد التميمي والنجدي ؛ تراكيب الافعال وردت تارة على لهجة اهل الحجاز وترد مرة اخرى على غيرهم ؛ مثل التناوب بين (بَخِلَ) و(بُخْل) ونظائر الاساليب الصرفية في المتغيرات والمصادر، اكتسب النص سعة في تحليل يتلائم مع التحليل الصوتي الفارق للخطاب الالهي [١].

المطلب الثالث: التآخي الصوتي (الفونولوجيا والفواصل القرآنية)

التحليل الصوتي يقوم بدوره فحص المستوى الصوتي لابراز الانسجام الكلمات العربية داخل النص القراني ؛ حيث اجتمعت الميزات الصوتية المتمايزة للقبائل في سياق نغمي واحد يخدم الفواصل القرآنية والإعجاز الصوتي:

١-الهمز بين التحقيق والتسهيل:

لسان البداوة كان يحضى بشكل واسع بخلاف صوتي (تميم) الحريص على تحقيق الهمزة وإعطائها نبرها الصارم، ولسان الحواضر (الحجاز) المائل إلى تسهيل الهمز قريباً من الألف أو الواو أو الياء. جاء القرآن الكريم ليستوعب هذين النمطين الصوتيين؛ فبينما كُتب المصحف العثماني في أصله على رسم أهل الحجاز (بلا همز، نحو: "المؤمنون" تُكتب "المومنون")، إلا أن الأداء اللفظي المتواتر احتفظ بالتحقيق التميمي في قراءات عديدة، مما خلق تآخياً صوتياً فريداً بين الخط الحجازي والأداء البدوي[٢].

٢-الإمالة والفتح وتوجيه الفواصل القرآنية:

ظهرت ظاهرة الإمالة الصيرفية (وهي لغة نجديّة تميمية تنحو بالألف نحو الياء) والفتح (وهي لغة حجازية تفصح بالألف) في خدمة الموسيقى الداخلية للنص وفواصله الرأسية؛ فنرى سورة مثل سورة (النجم) أو (الضحى) تُقرأ بالإمالة عند قبائل تميم وقرّائها، وبالفتح عند الحجازيين، مما يبرهن على أن الهندسة الصوتية للقرآن كانت مستوعبة ومستوعِبة للطاقات الصوتية التي أنتجها التقارب اللهجي قبل الإسلام، فجاءت الفواصل مرنة تتسع لأي جرس صوتي قبلي فصيح[٣].

١-(الرضي، ١٩٧٥، ج ٢، ص ١٤٢)

٢-(أنيس، ١٩٧٨، ص ٨٨-٩٣)

٣-(ابن جني، ١٩٥٢، ج ٢، ص ١١٤-١٢٠)

المبحث الثالث القراءات القرآنية بوصفها تجلياً واستيعاباً للتقارب اللهجي

المختبر التحليلي يعتمد بشكل اساسي على القراءات القرانية المتواترة ويقوم بتثبيت الاوسع لظاهرة التقارب اللساني في الجزيرة العربية ؛ إذ لم يكن تنوع الأداء القرائي مجرد خلاف لفظي عارض، بل كان استيعاباً وتشريعاً إلهياً للمظاهر اللهجية الفصيحة التي تقاربت قبل الإسلام. يرى الباحث كيف وظّف النص القرآني قراءاته لمأسسة هذا التقارب وتحويله إلى نسق لغوي معياري موحد.

المطلب الأول: حديث "نزول القرآن على سبعة أحرف" في ضوء التعددية اللسانية

شكّل النص النبوي التأسيسي: "إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ" المظلة التشريعية والمعرفية الكبرى لاستيعاب هذا التقارب؛ وحين نُفكك هذا المفهوم كلاميا نجد الآتي:

١-الأحرف السبعة كوجوه لسانية قبيلية:

توصل جمهور من العلماء والمحققين إلى أن المقصود بالأحرف السبعة هو سبعة أوجه من لغات العرب الكبرى التي تقاربت وتمازجت، وتفرقت في سياق النظم القرآني (كالهمز، والإمالة، والإدغام، والفتح، وتغير الألفاظ المترادفة). الكلام الإلهي لم يأتِ ليلغي الهويات الكلامية للقبائل الفصيحة، بل جاء ليعترف بوجودها ويصهرها في نسق قرائي مرن، يتيح للمتكلم التميمي، أو الهوازني، أو الحجازي أن يقرأ القرآن بطاقته الصوتية والصرفية المعهودة لديه دون حرج[١].

٢-رفع الحرج الاجتماعي واللساني:

الاحرف السبعة كان لها هدف رائسي غايتها التوسعة هو مراعاة الواقع اللغوي الجغرافي للعرب قبل الإسلام؛ إذ كان من العسير على شيخ تميمي طاعن في السن اعتاد تحقيق الهمز والنبر طوال عمره أن يتحول فجأة إلى التسهيل الحجازي. وبذلك، كان هذا الإذن النبوي تجسيداً ألسنياً لامتصاص نتائج الاحتكاك والتقارب دون فرض هيمنة تعسفية لنمط لهجي واحد على بقية الأنماط[٢].

١-(الزركشي، ١٩٨٤، ج ١، ص ٢١٢-٢١٧)

٢-(الخطيب البغدادي، ١٩٧٥، ص ١٤٣)

المطلب الثاني: أثر التقارب اللهجي في توجيه التنوع الأدائي للقراءات المتواترة

القراءات العشرة المتواترة تظهر التنوع الادائي بوصفه سِجلاً صوتياً وصرفياً حياً للمشتركات اللهجية التي أفرزتها أسواق العرب ومواسمهم، ويمكن رصد هذا التوجيه عبر مستويين:التوجيه الفونولوجي (الصوتي) للقراءات:لو لاحظت عند قرائتك لدراسة الائمة ، نجد أن التوزيع الجغرافي للقراء يطابق الخارطة اللهجية القديمة؛ فقراءة ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري تميل في كثير من أصولها إلى التخفيف والتسهيل الحجازي، في حين أن قراءات الكوفيين (كعاصم، وحمزة، والكسائي) تتكئ بوضوح على الخصائص التميمية والنجدية كتحقيق الهمز الصارم والإمالة الشديدة. هذا التنوع الأدائي هو انعكاس مباشر للتقارب القديم، حيث تحولت هذه الظواهر من "خلاف لهجي قبلية" إلى "تنوع أداء تعبدي" داخل بنية النص الواحد[١].

التوجيه المورفولوجي (الصرفي والدلالي)ان من اسهامات التقارب اللهجي له تأثير على الآيات من خلال تنوع الضوابط الصرفية في القراءات؛ فقراءة قوله تعالى: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} بالبناء للمعلوم أو المجهول، والتناوب بين صيغ (فَعَلَ) و(أَفْعَلَ) مثل (نَزَلَ وأَنْزَلَ)، يرجع في أصله إلى تفضيلات صرفية قبيلية استوعبتها القراءات لتقدم في كل أداء وجهاً دلالياً جديداً يعمق فقه الآية الكريمة[٢].

١-(الداعي، ١٩٨٤، ص ٧٦-٨١)

٢-(ابن مجاهد، ١٩٨٠، ص ١٢٤-١٢٩)

المطلب الثالث: دور النص القرآني في معيرة هذا التقارب

نزول القران يعد نقطة مهمه في مسار اللسان العربي الفصيح؛ إذ انتقل باللغة من طور السيولة اللهجية المفتوحة إلى طور التقنين الصارم:التوحيد الكتابي (المصحف العثماني):حينما قام الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بجمع المصاحف وكتابتها بلسان قريش، لم يكن يلغي جهود التقارب اللهجي السابقة، بل كان يضع "المعيار الحاسم" الذي يضبط هذا التقارب. فقد كُتبت الكلمات برسم حمال (بلا نقط ولا شكل) لكي يستوعب هذا الرسم الخطّي وجوه القراءات اللهجية الفصيحة كافة؛ فكلمة (فَتَبَيَّنُوا) قُرئت أيضاً (فَتَثَبَّتُوا) بناءً على مرونة الرسم العثماني المستوعب لتقارب اللغات[١].ولادة "العربية الفصحى المعيارية":بسبب القرآن وقراءاته، توقفت عملية التشتت اللهجي التي تعاني منها اللغات عادةً، وتحولت "اللغة الأدبية

المشتركة" التي كانت تُتداول في الأسواق إلى لغة رسمية، دينية، وعلمية ثابتة القوانين. لقد فرض القرآن معاييره الصوتية والتركيبية، فغدت اللهجات المحلية العربية تدور في فلكه، ونشأ عن ذلك ما يُعرف اليوم بـ "العربية الفصحى"، وهي أضخم ثمرة حضارية نتجت عن التقارب اللهجي الجاهلي بعد أن صهرته العبقرية البيانية للقرآن الكريم[٢].

١-(الزركشي، ١٩٨٤، ج ١، ص ٢٣٥)

٢-(السامرائي، ١٩٨٨، ج ١، ص ١٩٨-٢٠٢)

الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي جعل القرآن كتاباً عربياً مبيناً، ينطق بأفصح اللغات وأشرف الكلم، والصلاة والسلام على نبي الهدى المبعوث بلسان قومه جامعاً ومؤلفاً، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين.وبعد:فقد دارت رحى هذا البحث حول دراسة وتحليل قضية لغوية بالغة الأهمية في مسار المنهج التاريخي، وهي: "التقارب اللغوي بين لهجات الجزيرة العربية قبل الإسلام ودوره في تشكيل اللسان القرآني". وحاولنا من خلال فصول الدراسة تتبع الملامح اللغوية المتعددة لشبه الجزيرة العربية قبيل البعثة النبوية، ورصد ميكانيكيات التداخل والاتصام الاجتماعي والاقتصادي والديني التي أسهمت في تقريب اللهجات القبلية وصهرها؛ وصولاً إلى المحصلة النهائية المتمثلة في النظم القرآني المعجز وقراءاته المتواترة، والذي غدا الوعاء الأكبر والمقنن الأساس للعربية الفصحى المشتركة.وبناءً على المعالجة العلمية والمتابعة التطبيقية لمباحث هذا العمل، يمكننا إيجاز أبرز النتائج التي تبلورت في الآتي:

١-**تفكيك فرضية الاختزال اللغوي:** أثبت البحث أن القول بحصر اللغة القرآنية في "لهجة قريش" وحدها وبشكل مطلق هو رأي لا يستقيم أمام معطيات التحليل اللساني التاريخي الحديث؛ إذ تبين أن المتن القرآني نسق اصطفائي تآخت فيه محاسن لغات العرب، وإن كانت "القرشية" قد مثلت المركز الأساس والقاعدة المتينة التي بني عليها هذا النسق.

٢-**حركية الخارطة اللغوية وأثر المثاقفة:** كشفت الدراسة أن الواقع اللغوي في الجزيرة العربية لم يكن عبارة عن جزر معزولة، بل كان في حالة سيولة مستمرة. وقد لعبت الهجرات اليمانية المتلاحقة—خصوصاً بعد تصدع سد مأرب—إلى جانب الرحلات التجارية والمصاهرات، دوراً بارزاً في نقل العديد من المفردات والسمات الصرفية والصوتية بين الشمال والجنوب والشرق، لتصبح جزءاً من المشترك اللغوي قبل نزول الوحي.

٣-**الأسواق والمواسم بوصفها بيئات معيارية:** تبين أن الأسواق الأدبية (مثل عكاظ ومجنة) ومواسم الحج قد شكلت مناخاً لغوياً تأسيسياً فرض على القبائل التخلي—طوعاً—عن الظواهر الصوتية الوعرة أو المتطرفة في نتاجهم الفني (كالتلتلة والعنعنة والكشكشة)، مما مهد السبيل لولادة لغة أدبية مشتركة تفهمها الجماعات كافة.

٤-**التكامل الصوتي والصرفي في النظم القرآني:** أظهر الجانب التطبيقي أن القرآن الكريم استثمر التعدد اللهجي كأداة للإعجاز والتوسع الدلالي؛ فنراه يزاوج بين الإعمال الحجازي والإهمال التميمي لـ "ما" النافية، ويستوعب الألفاظ الغريبة لبعض القبائل، كما طوّع التناوب اللغوي بين الهمز والتسهيل، والإمالة والفتح، لخدمة فواصل الآيات وإثراء الوجوه التفسيرية.

٥-**القراءات القرآنية كوثيقة لسانية حية:** خلص البحث إلى أن القراءات المتواترة والأحرف السبعة تمثل سجلاً صوتياً واقعياً حفظ التعددية اللسانية للعرب ورفع الحرج عنهم. وجاء التوزيع الجغرافي للأداء القرائي متوافقاً تماماً مع الخارطة اللهجية القديمة، مما حوّل الاختلاف القبلي العفوي إلى تنوع أدائي تعبدي معجز.

٦-**القرآن أداة المعيارية والتقنين:** أثبتت الدراسة أن النص القرآني، ولا سيما بعد التدشين العثماني للمصحف الشريف بـ "الرسم الحمال"، نجح في الحد من التشتت الطبيعي الذي يصيب اللغات بمرور الزمن، محولاً التقارب الجاهلي من حالة عفوية إلى لغة معيارية مقننة وصارمة القوانين، وهي التي نتشرف بنعتِها اليوم بـ "العربية الفصحى".

التوصيات والمقترحات

انطلاقاً من المعطيات والنتائج التي أسفر عنها هذا البحث، يضع الباحث أمام الزملاء والباحثين مجموعة من المقترحات والتوصيات على النحو التالي:

أولاً: توجيه طلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) في كليات الآداب والتربية بجامعة بغداد نحو العناية بـ "الأطالس اللغوية" التراثية، والعمل على ربط التوجيه النحوي والصوتي للقراءات بالبيئات الجغرافية للعرب قديماً، بدلاً من الارتهان للتعليل النحوي المجرد.

ثانياً: السعي نحو الاستفادة من آليات "اللسانيات الاجتماعية" بمفهومها الحديث لإعادة قراءة المصنفات التي دارت حول (اللغات في القرآن) و(غريب القرآن)، مع محاولة تتبع العوامل الاجتماعية والبيئية التي أسهمت في منح لهجات معينة صفة "الفصاحة المعيارية" دون غيرها.

ثالثاً: تشجيع البحوث والدراسات البينية التي تعنى بفحص المخطوطات القرائية القديمة ورسم المصحف، ومقارنة نتائجها بالنقوش والآثار المكتشفة في شمال وجنوب الجزيرة العربية؛ بغية الوقوف على المسار التاريخي الدقيق لتطور الحرف العربي ونطقه الفصيح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار المنتجبين.

المصادر والمراجع

١.ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات (١٩٦٣). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط١، القاهرة: المكتبة الإسلامية.

٢.ابن جني، أبي الفتح عثمان (١٩٥٢). الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.

٣.ابن فارس، أحمد بن زكريا (١٩٩٧). الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها. تحقيق: عمر فاروق الدباع، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤.ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى (١٩٨٠). كتاب السبعة في القراءات. تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، القاهرة: دار المعارف.

٥.أنيس، إبراهيم (١٩٧٨). في اللهجات العربية. ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٦.جواد علي (١٩٩٣). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط٢، بغداد: جامعة بغداد.

٧.الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (١٩٧٥). الكفاية في علم الرواية. تحقيق: أحمد عمر هاشم، بيروت: دار الكتاب العربي.

٨.الداني، أبي عمرو عثمان بن سعيد (١٩٨٤). المحكم في نقط المصاحف. تحقيق: عزة حسن، ط٢، دمشق: دار الفكر.

٩.الرضي، الأستراباذي محمد بن الحسن (١٩٧٥). شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق: محمد نور الحسن، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٠.الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر (١٩٨٤). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، بيروت: دار المعرفة.

١١.السامرائي، إبراهيم (١٩٨٨). فقه اللغة المقارن. ط١، بيروت: دار العلم للملايين.

١٢.سيبويه، عمرو بن عثمان (١٩٨٨). الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٣.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٢٠٠٢). الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط١، دمشق: دار ابن كثير.